مدينة الديبل
ودورها في التاريخ الإسلامي

إعداد

م.م. غازي فيصل صالح
مدرس في مديرية تربية الانبار

ISSN: 2071- 6028

ملخص البحث

مدينة الديبل مدينة مشهورة تقع في بلاد السند ، ويقال لها: الديبلان ، تقع على ساحل بحر الهند ، وموقعها الاستراتيجي جعلها أهم موانىء بلاد السند ، وتحيط بها نحو مائة قرية آهِلة بالسكان ، ثم تغير اسم الديبل إلى كراتشي ، وأصبحت عاصمة لدولة باكستان الحديثة ، وذلك قبل انتقال العاصمة إلى إسلام آباد في سنة (١٩٦٠م) ، وأبرز القبائل التي تقطن في الديبل هم ، البدهة وهؤلاء ينقسمون على طوائف عدة أشهرها الزط ، وقبائل الميد ، وتعددت اللغات في مدينة الديبل قبل الإسلام وبعده وكانت اللغة السنسكريتية هي اللغة الرسمية للبلاد ، وتعد التجارة هي عماد حياة المجتمع الديبلي ؛ لأن مدينتهم كانت ملتقى التجار من كافة بلدان العالم ، وكانت أُولى عمليات التحرير الإسلامي لبلاد السند قد جرت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) ، وتوالت الحملات الإسلامية على بلاد السند في العهود التي بعدها ، وفي سنة (٩٢هـ/ ٧١٠م) أرسل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ابن عمه القائد محمد بن القاسم الثقفي الى الديبل – وكان والياً على بلاد فارس– ففتحها الله بعد حصار المدينة فدخلوها عنوة وغنموا منها غنائم هائلة . وإن بلاد السند كانت جزءاً من دولة الهند ، ثم انفصلت عنها سنة (١٩٤٧م) مكونة دولة باكستان الاسلامية.

الكلمات المفتاحية : مدينة ، الدبيل ، تأريخ

ISSN:2071-6028

Daybol city and its Role in the Islamic History

Daybol city is a famous city located in Al-Sind area. It has been said that this city is located on Indian sea shore and its important location made it one of the most important harbor in Al-Sind Country. It is surrounded by 100 villages full of population. Before one year of moving the capital to Islamabad in1960 A.D., Daybol name has changed to Karatshi and it became the capital of the modern Bakistan.

The most famous tribes lived in Daybol are: Al-Badha who are divided onto many tribes and the most important of these are Al-Zint, and Al-Meed tribes.

There are many languages in Daybol city before and after Islam and the Sinsikriti language was the formal language in it. Trade is the Cornerstone in their lives because its location constitutes the cross meeting for all countries surrounding it.

The first Islamic liberation operation for Al-Sind was in the era of Omer Bin Al-Khattab (13-23 B.C. /634-643 A.D.) and continued afterward in the following Eras. On(92 B.C /710 A.D.), Al-Hajaj Bin Yousif Al-Thaqafi has sent the leader Mohamed Bin Al-Qasim Al- Thaqafi to Daybol to liberate it after being occupied. They enter it with force and take from it tremendous benefits. Al-Sind Country was part of India and separated from it on 1947 A.D. constituting Bakistan.

Keywords : City, dubail, history

المقدمة :

إن الحمد لله ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وعلى من اتبع هداه إلى يوم الدين ، وبعد ..

فإن لدراسة المدن الإسلامية أهمية كبيرة في التاريخ العربي الإسلامي ؛ بغية بيان الدور الحضاري لهذه المدن من جهة ، ومن ثَمَّ إبراز الأثر الحضاري للإسلام في تنشيط هذه المدن وازدهارها من جهة أخرى.

وتناول هذا البحث الموسوم (مدينة الديبل ودورها في التاريخ الإسلامي) تاريخ هذه المدينة قبل الإسلام وبعده ، ولم يكن من السهل البحث في هذا الموضوع ، والسبب معروف لدى الباحثين والمعنيين بدراسة المدن الإسلامية وغيرها ، ولا سيما المدن العريقة ؛ لأن المؤلفين القدامى لم يُفردوا دراسات خاصة بشأن المدينة الإسلامية بشكل يغني الباحثين المُحدَثين ويروي ظمأهم عند الكتابة عن المدينة الإسلامية ، وبالرغم من ذلك

ISSN:2071-6028

تمكنا بعون الله تعالى من إخراج هذا البحث بهذه الصورة ، وتم تقسيمه على خمسة مباحث :

تحدث المبحث الأول : عن تسمية مدينة الديبل ، وموقعها ، ومناخها . وتناول المبحث الثاني : لمحة تاريخية عن فتح المسلمين مدينة الديبل ونتائجه . ودرس المبحث الثالث : الحياة الاجتماعية للسكان ، فتناول النسيج الاجتماعي ، ومن ثَمَّ درس أزياء الناس وألبستهم ومساكنهم وبعض أعيادهم ومناسباتهم وأعرافهم وتقاليدهم . أما المبحث الرابع : فقد أظهر المؤشرات الحضارية في الجوانب الدينية ، والثقافية ، كاللغة والعلوم الشرعية . ودرس المبحث الخامس : الحياة الاقتصادية ، موضحاً أهم الأنشطة التي مارسها السكان ، وأهم صادراتها ووارداتها . كما تضمن البحث نتائج عدة ، وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

الديبل ، التسمية – والموقع – والمناخ

أولاً: التسمية

الدَّيْبُل: بفتح الدال ، وسكون الياء ، وضم الباء ، مدينة مشهورة تقع في بلاد السند ، ويقال لها: الدَّيْبُلان ، أنشد أبو عمرو عن ثعلب عن ابن الإعرابي:

كَأَنّ ذراعَهُ المشْكُول[١] منه سَلِيبٌ من رجالِ الدَّيْبُلاَنِ [٢].

كما كانت تسمى: ذَيْبل[١] ، وديُول [٢] ، وفي سنة (١٩٤٧م) استقلت الهند عن بريطانيا فانفصلت عنها السند (باكستان حالياً) بصورة رسمية ، وأعلنت استقلالها في نفس

(١)المشكول : المشدود ، يقال : شكلة المرأة شعرها ، إذا ظفرت خُصلتين من مقدم رأسها عن يمين وشمال ، ثم شدت بهما سائر ذوائبها ، ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن ، (ت٣٢١هـ / ٩٣٣م) ، جمهرة اللغة ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٥م) ، ٢/٢٣٣.

(٢)البكري ، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي ، (ت٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق: د.جمال طلبة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٨م) ، ٢/ ١٨٥.

ISSN:2071-6028

السنة أعلاه ، ثم تغير اسم الديبل إلى كراتشي ، وأصبحت عاصمة هذه الدولة الإسلامية الحديثة ، وذلك قبل انتقال العاصمة إلى إسلام آباد في سنة (١٩٦٠م)[٣] .

ثانياً: الموقع:

تقع مدينة الديبل على ساحل بحر الهند[٤] ، غربي مصب نهر مهران – أو ما يعرف بنهر السند– بالبحر[٥] ، قدر مسافة ستة أميال[٦] ،داخلة في البحر مكونة خور بينها وبين مدينة المنصورة[٧] ،

يعرف بخور الديبل[١] ، ووصفها أبو الفداء[٢] أنها بلد صغير . في حين قال عنها المقدسي[٣] أنها مدينة بحرية حصينة ، تضرب أمواج البحر جدران مبانيها التي تقع على

---

(١)شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبدالله محمد أبي طالب الأنصاري الدمشقي ، (ت٧٢٧هـ / ١٢٢٦م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ط٢ ، دار احياء التراث العربي ، (بلا ، ١٩٩٨م) ، ص١٧٣.

(٢)هوروفتز ، مقال : دَيْبُل ، دائرة المعارف الإسلامية ، يصدرها باللغة العربية : أحمد الشنتاوي وآخرون ، راجعها : د.محمد مهدي علام ، (بلا ، د.ت) ، ٣٥٨/٩.

(٣)أبو حجر ، آمنة ، موسوعة المدن الإسلامية ، ط٢ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، (عمّان،٢٠١٠م) ، ص١٨٥ ، ١٩٨ ؛ عبدالرزاق ، د.عصام عبدالغفور ، أثر الإسلام في نشوء دولة باكستان الحديثة ، بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية ، العدد الثالث– أيلول – ٢٠١١م، ص٢٠١.

(٤)ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، ط٣ ، دار صادر ، (بيروت ، ٢٠٠٧م) ، ٤٩٥/٢.

(٥)ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي ، (ت٣٦٧هـ / ٩٧٧م) ، صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، (بيروت، د.ت) ، ص٢٧٤.

(٦)الإدريسي ، أبو عبدالله محمد بن محمد بن إدريس الحموي الحسني ، (من علماء القرن السادس الهجري) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة ، ٢٠٠٢م) ، ١٦٧/١.

(٧)ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٧٦.

ISSN:2071-6028

ساحله ، وتحيط بها نحو مائة قرية آهلة بالسكان . وتقع الديبل في الإقليم الثاني ، طولها من جهة الغرب اثنتا وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها من جهة الجنوب أربع وعشرين درجة وثلاثون دقيقة[٤] ، وهي أكبر فُرَض[٥] بلاد السند وأشهرها[٦] ، وإليها تفيض مياه لَهُور وملتان ، فتصب في بحر الهند[٧] .

والمسافة من الديبل إلى النيرون ثلاث مراحل[٨]

---

(١)البلاذري ، أبوالحسن أحمد بن يحيى بن جابر ، (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، وضع حواشيه: عبدالقادر محمد علي ، ط١، دار الكتب العلمية ،(بيروت،٢٠٠٠م) ، ص٢٥٧.

(٢)أبو الفداء ، عمادالدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة ، (ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م) ، تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينودو البارون ماك كيني ديسلان ، (باريس،١٨٥٠م) ، ص٣٤٩.

(٣)المقدسي ، محمد بن أحمد ، (ت٣٨٠هـ /٩٩٠م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت، ٢٠٠٣م) ، ص٣٤٦.

(٤)ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٩٥/٢.

(٥)فُرَض: جمع فُرْضَة ، وتعني مَشْرَعة النهر ، ومنه حديث موسى عليه السلام ((حتى أرفأ به عند فرضة النهر)) ، ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، (ت٦٠٦هـ /١٢٠٩م) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق: أبي عبدالرحمن محمد بن عويضة ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٢م) ،٣٨٨/٣.

(٦)أبوالفداء ، تقويم البلدان، ص٣٤٩.

(٧)ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ٤٩٥/٢ ؛ ابن عبدالحق البغدادي ، عبدالمؤمن بن عبدالخالق ، (ت٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، (بيروت، ١٩٥٤م) ،٥٤٨/٢.

(٨)المرحلة: تساوي ستة فراسخ ، والفرسخ: يساوي: ثلاثة أميال ، المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٨٥ ، ١٠٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣٦/١ ؛ زلوم ، عبدالقديم ، الأموال في دولة الخلافة ، ط٣ ، دار الأمة ، (بيروت ،٢٠٠٤م) ، ص٥٨.

ISSN:2071-6028

وتتوسط النيرون المسافة بين الديبل والمنصورة التي تقع شرقيها[١] ، وهي ضمن الجزء السابع من الإقليم الثاني الذي يضم مدناً أخرى ، هي: كيه ، وكيزر ، وأرمابيل ، وبند ، وقصرقند، وفيربوز ، والحور ، وقنبلي ، ومنجابري ، والنيرون ، والمنصورة[٢].

ويرى هوروفتز[٣] أنه لا يمكن تحديد الموقع الحقيقي لمدينة الديبل في الأزمان القديمة بدقة رغم المعلومات التي أوردها الجغرافيون في كتبهم عنها ، ويعلل ذلك ؛ لأن نهر السند قد غير مجراه بصورة كبيرة ، ثم يضيف قائلاً: أنه لا يمكن الجزم بأن ديبل هي عين كراتشي أو تَتَّة أو لاهوري بندر ، ويعتقد هيك أن ديبل هي عين أطلال ككلر بُكيرة على الضفة اليمنى لقناة بغار.

ولعل ما يؤيد ما ذهب إليه هوروفتر ، ما ذكره ابن حوقل[٤] من أن نهر مهران لا يختلف كثيراً عن نهر النيل فهو يفيض وتقوم عليه مزارع كثيرة. ومعنى هذا أن أغلب المناطق التي يجري بها ولا سيما عند مصبه بالبحر هي أراضي سهلية ؛ وهذا مما يسهل عليه تغيير مجراه بين حين وآخر ؛ لذلك يضطر السكان إلى الانتقال من مكان إلى آخر.

ثالثاً: المناخ

وأما مناخ مدينة الديبل ، فإنه يغلب عليه الحال الذي عليه مناخ إقليم السند ، فهو على العموم مناخ حار ، يميل إلى الاعتدال في بعض المناطق[٥] ، وقليل الأمطار ، لا يشجع على قيام زراعة ديمية على نطاق واسع.

المبحث الثاني

لمحة تاريخية عن فتح المسلمين مدينة الديبل ونتائجه

كانت أولى عمليات التحرير الإسلامي لبلاد السند قد جرت في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ (١٣-٢٣هـ /٦٣٤-٦٤٣م) ، حيث قاد عثمان بن أبي العاص الثقفي –

(١)الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ١٦٨/١.

(٢)المصدر نفسه ، ١٦٦/١.

(٣)مقال ، دَيبل ، دائرة المعارف الإسلامية ، ٩/ ٣٥٨.

(٤)صورة الأرض ، ص٢٨٢ ،٢٨٣ ؛ ينظر: المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٣٤٨.

(٥)المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٣٤٧ ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٣٤٩.

ISSN:2071-6028

والي البحرين وعُمان – حملة بحرية انطلقت من عُمان وتوجهت إلى سواحل الهند فوصلت إلى تانة ، ثم عادت محملة بالغنائم ، وفي سنة (١٥هـ /٦٣٦م) بعث عثمان بن أبي العاص أخاه المغيرة بن أبي العاص على رأس قوة بحرية إلى ميناء الديبل ، فقاتله أهلها ، بيد أنه تمكن من الانتصار عليهم والحصول على الغنائم ، ثم عاد إلى عُمان[١] .

ويبدو مما سبق أن عمليات التحرير في هذه المرحلة كانت مجرد غارات سريعة وقوية ، استهدفت جس نبض العدو ، وإيقاع الخسائر به ، والاستيلاء على كل ما في يده ، فلم تستهدف الفتح المنظم والمستقرفي هذه المرحلة.

وتوالت الحملات الإسلامية على بلاد السند في العهود التالية ، فلما استخلف عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ /٦٨٤-٧٠٥م) ، وولّى الحجاج بن يوسف الثقفي إمرة العراق والمشرق الإسلامي (٧٥-٩٤هـ /٦٩٤-٧١٢م) ، وصل الزحف الإسلامي إلى حدود السند ، وضموا مكران[٢] إلى دولتهم[٣] ، وفي تلك الأثناء نشطت حركة الخوارج الأزارقة ، فشتت المسلمون شملهم ، ففر قسم منهم إلى مكران وبلاد السند ، والقوات الإسلامية تتعقبهم ، فتآمروا مع ملك السند ضد المسلمين ، وكان هؤلاء الخوارج قد جعلوا قيادتهم إلى معاوية ومحمد العلافيان ، فتمكنا من قتل والي مكران والاستيلاء عليها في سنة (٨٠هـ /٦٩٩م) ، ثم أرسل الحجاج في سنة (٨٥هـ /٧٠٤م) قوة أخرى لقتالهم بقيادة مجاعة بن سعر التميمي ، بيد أن العلافيين فَضّلاً عدم القتال فتركا مكران وانسحبا نحو السند ليرتميا في أحضان ملكها[٤] . ولمّا توفي مجاعة في سنة (٨٦هـ /٧٠٥م) بعث

---

(١)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٧.

(٢) مُكْران: ولاية واسعة تشتمل على عدة مدن وقرى ، معدن الفانيذ ، تحدها كرمان غرباً والهند شرقاً وسجستان شمالاً والبحر جنوباً ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٧٩/٥ ، ١٨٠.

(٣)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٧.

(٤)المصدر نفسه ، ص٢٥٩ ؛ ابن الأثير ، عزالدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ، (ت٦٣٠هـ /١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق ، ط٤ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٧م) ، ٣٦/٤.

ISSN:2071-6028

الحجاج محمد بن هارون بن ذراع النمري أميراً على مكران ، فبقي هناك حتى قدم محمد بن القاسم الثقفي السند سنة (٩٢هـ /٧١٠م)[١] .

وكان التجار العرب المسلمون قد وصلوا سواحل بحر الهند وجزره ، وأسهموا في نشر الإسلام في تلك البقاع ، ومنها جزيرة الياقوت أو سرنديب (سيلان حالياً) ، وتزوج قسمٌ منهم من نساء تلك الجزيرة ، وأنجبوا أطفالاً ، وكانوا على علاقات حسنة مع ملكهم ، ثم أن بعض هؤلاء قد ماتوا ، فَخلَّفوا أيتاماً وأرامل مسلمات ، فأراد ملك سرنديب أن يتقرب بهن إلى خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ /٧٠٥-٧١٤م) ، فبعث عوائل هؤلاء إلى أهلهم وذويهم في بلاد العرب ، وصحبهم عدد كبير ممن يريد أداء فريضة الحج ، وبعث الملك معهم الهدايا والتحف الثمينة إلى دار الخلافة بدمشق ، وحملهم على السفن فتوجهت بهم غرباً بمحاذاة السواحل الهندية ، فاعترضها قوم من ميد الديبل – وكان هؤلاء قد اشتهروا بالقرصنة وأعمال السلب والنهب – في سفن حربية ، واستولوا على السفن وأسروا من فيها ، فنادت امرأة مسلمة منهن من بني يربوع : يا حجاج ، ويبدو أن أحداً تمكن من الإفلات من قبضة القراصنة وأوصل الخبر إلى الحجاج ، فقال: لبيك ، فنهض الحجاج وأرسل من فوره كتاباً إلى داهر ملك السند يطلب منه إطلاق سراح أولئك النسوة المسلمات ، بيد أن الملك داهر لم يستجب لطلب الحجاج ، وتذرع بأن اللصوص هم الذين أخذوهن وأنه لا سلطان له عليهم [٢] .

ويتبين مما تقدم أن الملك داهر لم يكن جاداً في تنفيذ ما طُلب منه بشأن أولئك النسوة ، فتذرع بحجة واهية ؛ مما يشير إلى أن أعمال القرصنة كانت تجري بأمره ، أو على الأقل على مرأى ومسمع منه ، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أن عملية القرصنة هذه تمت بوساطة سفن كبيرة ، ومثل هذه السفن لا يتمكن القراصنة من امتلاكها ، إنما تمتلكها الدولة ، أو كبار رجالها .

---

(١)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٩ ؛ اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن وهب بن واضح ، (ت٢٩٢هـ /٩٠٤م) ، تاريخ اليعقوبي ، علّق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٢م) ، ١٩٣/٢ ، ١٩٤ .

(٢)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٩.

ISSN:2071-6028

وعندها قرر الحجاج غزو السند وانقاذ الأسرى بقوة السيف ، والعمل على نشر الإسلام في تلك البلاد ؛ كي تنعم بالأمن والسلام ، فأرسل جيشاً في سنة (٩٠هـ /٧٠٨م) بقيادة عبيد الله بن نبهان السلمي فوصل إلى الديبل ، فتصدى له أهلها ، فاستشهد عبيدالله وتقهقر جيشه ، ثم أرسل الحجاج جيشاً آخر سنة (٩١هـ / ٧٠٩م) بقيادة بديل بن طهفة البَجَلي ، فأبحر من عُمان إلى بلاد السند ، وعند الديبل دارت معركة طاحنة بين المسلمين وبين العدو ، أسفرت عن استشهاد قائدهم طهفة وكثير من جنده ، وأفلت الباقون[١] .

وإزاء ما جرى رأى الحجاج ضرورة فتح السند والثأر لشهداء المسلمين ، فوجه ابن عمه محمد بن القاسم الثقفي – وكان محمد والياً على بلاد فارس ، ومقره في شيراز – على رأس جيش قوامه ستة آلاف فارس[٢] ، ثم ضم إليه فضلاً عن هؤلاء ستة آلاف مقاتل من جند أهل الشام وغيرهم[٣] ، فَقسّم محمد بن القاسم قواته إلى فرقتين بحرية وبرية ، فتوجهت القوة البرية بقيادته من مكران إلى الديبل ، وفي الوقت ذاته كانت القوة البحرية الإسلامية تتوجه نحوها أيضاً ، وذلك في سنة (٩٢هـ /٧١٠م) ، وتمت محاصرة المدينة[٤] ، ونُصبت عليها المنجنيقات تمهيداً لضربها ، ومن بين هذه المنجنيقات منجنيقٌ ضخم يسمى (العرس)[٥] يعمل به خمسمائة مقاتل ، وفي هذه الأثناء كانت المراسلات جارية بين الحجاج وابن القاسم ، لا تتأخر أكثر من ثلاثة أيام ؛ لكي يكون الحجاج على اطلاع

---

(١)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٩ ؛ ينظر: الدليمي ، غازي فيصل صالح ذياب ، قبيلة بجيلة وأثرها في التاريخ العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة الأنبار ، (١٤٣١هـ /٢٠١٠م) ، ص ١٩٧.

(٢)اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٢/٢ .

(٣)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٩.

(٤)المصدر نفسه ، ص٢٦٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١١١/٤ ؛ ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ، (ت٨٠٨هـ /١٤٠٥م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٦م) ، ١٣٢/٥ ، ١٣٣ .

(٥)وعند ابن الأثير يسمى (العروس) ، الكامل ، ١١/٤.

ISSN:2071-6028

تام بما يحدث هناك ، ولمّا استعصت المدينة أشار الحجاج على ابن القاسم بتركيز الرمي على قبة البُد[١] وسارية العلم الذي يرفرف فوقها ، فتم ضربها وتدميرها وإسقاط العلم ، فَغضِب[٢] أهل الديبل لَمّا انتكس عَلَمهم ، وخرجوا لملاقاة المسلمين فاقتتلوا قتالاً شديداً انتهى بهزيمتهم وارتدادهم داخل حصنهم ، وبعدها قرر ابن القاسم اقتحام المدينة[٣] ، فَنُصبت السلالم وتسلقها جند الإسلام واستمر القتال داخل الحصن ثلاثة أيام ، حتى فتحها الله سبحانه وتعالى على أيدي المسلمين فدخلوها عنوة ، وغَنموا منها غنائم هائلة ، وتوجهت قوة من المسلمين نحو المعبد فاشتبكوا مع حراسه وقتلوهم وأخرجوا منه نحو سبعمائة جارية موقوفة لخدمة المعبد[٤] ، كما تقدموا نحو السجن فاخرجوا من كان فيه ، وهرب عامل الملك داهر عن المدينة[٥] .

انصرف بعدها ابن القاسم لتنظيم خطط مدينة الديبل ، فبنى فيها مسجداً ضخماً ووسع قلعتها وزاد في تحصينها ، وأقطع جنده أربعة آلاف قطعة أرض سكنية في المنطقة التي تقع شرقي القلعة فبنوا عليها بيوتهم ، وفي سنة (٩٣هـ /٧١١م) عُيِّن محمد بن وداع النّجدي عاملاً عليها[٦] .

---

(١)البُد: معناه عند البراهمة شخصٌ في هذا العالم يولَد ، لا يتزوج ولا يأكل ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ، وأول بُد ظهر في العالم اسمه: شاكي موني ، وتفسيره: السيد الشريف ، وكان ذلك قبل البعثة النبوية بنحو خمسة آلاف سنة ، وكان أهل الديبل يعبدون البد ، وله بناء (معبد) عظيم ارتفاعه أربعون ذراعاً ، اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٢/٢ ؛ الشهرستاني ، أبوالفتح محمد بن عبدالكريم ، (ت٥٨٤هـ /١١٥٣م)، الملل والنحل ، صححه وعلق عليه: الأستاذ أحمد فَهمي محمد ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،٢٠٠٧م) ، ٧١٠/٣ .

(٢)في حين ذكر ابن محمود أن أهالي الديبل يعتقدون أن منارة هذا المعبد إن هُدمت أَمِن الناس بالفتح ، أبو عبدالرحمن جمال بن محمد ، سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ما له وما عليه ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،٢٠٠٤م) ، ص١٢٤.

(٣)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٦٠ .

(٤)اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٢/٢ .

(٥)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٦٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١١/٤ .

(٦)المصدران نفسيهما .

ISSN:2071-6028

وكان لفتح الديبل على يد ابن القاسم الثقفي أعظم الأثر في انسياح المسلمين في بلاد السند ودخول كثير من أهلها في الدين الإسلامي الحنيف ، فقد أشار اليعقوبي[١] إلى نتائج هذا الفتح المبين بقوله: ((ولمّا فتح الديبل ، وكانت أعظم مدائنهم ، خضع له البلدان ...)).

المبحث الثالث

الحياة الاجتماعية للسكان

يتناول الجانب الاجتماعي نسيج المجتمع في مدينة الديبل ، وأنواع الملابس والأزياء التي يرتديها السكان ، ومساكن هؤلاء ، والأعياد والمناسبات والأعراف والتقاليد .

أولاً: النسيج الاجتماعي

لم تقف المصادر التاريخية على أصول الأقوام التي استوطنت في بلاد الهند والسند في العصور القديمة ، وشيدت حضارة عظيمة امتد عمرها آلاف السنين ، ولكن عُرف سكان الهند في تلك المدة باسم (الدَرَافيد) ، وهم مزيج من (الكول) سكان البلاد الأصليين و(التورانيين) الذين جاؤوا من تركستان واستقروا في الهند بعد أن أخضعوا الشعب الكولي ، فنتج عن ذلك ظهور شعب جديد عُرف فيما بعد باسم (الدَرَافيد)، الذين كانوا قصار القامة ، وذوا بشرة سمراء[٢].

وفي القرن الخامس عشر قبل الميلاد تعرضت البلاد إلى غزو الأقوام الآرية ، وقد اختُلف في أصلهم ، فقيل: أنهم من بلاد الدانوب في أوربا الشرقية ، وقيل: أنهم من سكان أواسط آسيا من بلاد التركستان ، ويرى آخرون أنهم من بلاد إيران ، وقد

---

(١)تاريخ ، ٢٠٢/٢ .

(٢)الأعظمي، د.أبو أحمد محمد ضياء الرحمن ، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند والبشارات في كتب الهندوس ، ط٤ ، مكتبة الرشيد ، (الرياض ، ٢٠٠٨م) ، ص٥٢١ ،٥٢٢ ؛ مكتب التبيان للدراسات العربية وتحقيق التراث ، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة ، إشراف علمي: حسن عبدالحفيظ أبو الخير ، ط١، دار ابن الجوزي ، (القاهرة ،٢٠٠٩م) ، ٢ / ٧٦٢.

ISSN:2071-6028

قاوم الدَرافيد الغزاة الآريين ، واستمرت الحرب بينهم أكثر من ألف سنة[١] ، بيد أن الآريين تمكنوا من التغلب على الدَرافيد ؛ لقوة أجسامهم ومهارتهم في القتال ، فضلاً عن امتلاكهم الأسلحة الحديثة مقارنة بأسلحة الدَرافيد البدائية[٢] ، ولمّا استقروا في البلاد حصل تمازج بين المعتقدات فنتج عن ذلك ظهور الديانة البرهمية ، أو البراهمانية (الهندوسية)[٣] ، وأُطلق على رجال الدين اسم(البراهمة)[٤] ، وعمل الآريون الذين أصبحوا هم الحاكمين للبلاد على تقسيم المجتمع إلى عدة طبقات[٥] ، واستعبدوا أهل البلاد الذين قاوموهم ، وجعلوهم في أحط مرتبة مع المنبوذين والرقيق.

ولمّا وصل المسلمون إلى بلاد السند كانت أبرز القبائل أو الأقوام التي تقطن في الديبل ، هم البدهة[٦] ، وهؤلاء ينقسمون على طوائف عدة ، أشهرها:

١- **الزّط:** ينتسب الزط إلى قبيلة (لوهانة) الهندية ، وكان يسودهم الجهل والتخلف ؛ بسبب ظروفهم المعيشية القاسية ، وبما خلّفه نظام الطبقات البرهمي[٧] ، وينتشر سكنى هؤلاء في عموم البلاد ولا سيما في المناطق الداخلية وأطراف الأنهار ، وسواحل بحر الهند ، ويمارسون حرفاً شتى[٨] ، فمنهم من يزاول تربية الجاموس[٩] ، ومنهم من يعمل

---

(١)المرجع نفسه ، ص٥٢١ وما بعدها ؛ م.ن.

(٢)ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة: د.زكي نجيب محمود ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (بلا ، ١٩٦٨م) ، ٢١/٣ ؛ الأعظمي ، دراسات ، ص٥٢٢.

(١)الأعظمي ، دراسات ، ص٥٢٢ وما بعدها ؛ مكتب التبيان، الموسوعة المفصلة ،٢ /٧٦٢.

(٤)البراهمة: سمّوا بهذا الاسم ؛ لانتسابهم إلى رجل منهم ، يقال له: برهام ، وكان هذا يقول بنفي النبوات، وقرر استحالة ذلك في العقول ، وقد تفرق البراهمة إلى عدة أصناف ، فمنهم: أصحاب البددة ، ومنهم أصحاب الفكرة ، ومنهم أصحاب التناسخ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ،٧٠٦/٣ وما بعدها.

(٥)الأعظمي ، دراسات ، ص٥٢٣.

(٦)ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٧٦.

(٧)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٩.

(٨)ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٨٣ ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٣٤٩.

(٩)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٢٤.

ISSN:2071-6028

في صيد الأسماك ، وطيور الماء ، أو العمل على سواحل بحر الهند ، ومنهم من يحترف القرصنة ، ومنهم قطاع الطرق ، بيد أن أكثرية الزط يمتهنون الرعي في بوادي الديبل وإقليم السند[١] .

وفي عصور ما قبل الإسلام انتقل عدد غير قليل من الزط إلى مناطق الخليج العربي، والعراق، واليمن ، واستقروا على سواحل البحار والأنهار ، وفي مناطق البطائح والمستنقعات ، وفي العصر الإسلامي نقل الخليفة معاوية بن أبي سفيانﷺ (٤١-٦٠هـ /٦٦١-٦٧٩م) بعضاً منهم إلى سواحل الشام وأنطاكية[٢] ، وكان القائد محمد بن القاسم الثقفي قد نقل أعداداً كثيرة من الجواميس من السند إلى مناطق الأهوار والمستنقعات في جنوب العراق ؛ للإفادة من ألبانها وفي مكافحة السباع ، وذلك بناءاً على أوامر الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق ، كما أمر الخليفة الوليد بن عبدالملك بنقل أعداد من الجواميس إلى أنطاكية ؛ للغرض ذاته[٣] .

ونستشف مما تقدم أنه تم نقل أقوام من الزّط لرعي هذه الجواميس والعناية بها في المناطق الجديدة ، سواء التي في العراق ، أو التي في بلاد الشام.

٢- **الميد:** وهم من العناصر التي استوطنت الديبل وأنحاء أخرى من بلاد السند منذ أقدم الأزمنة ، فقد كانوا منتشرين على السواحل البحرية لبلاد السند ، وفي صحاريها ، التي تمتد من الملتان[٤] إلى البحر ، كما سكن بعضهم على طول ضفاف نهر مهران

---

(١)ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٨٣ ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٣٤٩.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان، ص٢٢٣ ،٢٢٤ ؛ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت٣١٠هـ /٩٢٢م) ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،(بيروت ، د.ت) ،٣٠٦/١.

(٣)عبدالباقي ، أحمد ، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت،١٩٩١م) ، ص١١٦ ،١١٧.

(٤)الملتان: وتسمى (المولتان) ، وتسمى (فرج باب الذهب) ، مدينة من نواحي الهند غرب غزنة تبلغ مساحتها نحو نصف مساحة المنصورة ، وبها صنم تعظمه الهند ويحجون إليه من أقصى البلدان ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٨٩/٥ ، ٢٢٧ .

ISSN:2071-6028

حتى حدود مُكْران ؛ وهذا ما أكسبهم خبرة في الحروب البحرية ، وكان لسكناهم على السواحل البحرية وركوبهم البحر أن قاموا بأعمال اللصوصية والقرصنة[١] ، ولم تكن أحوالهم وظروفهم بأفضل من أحوال إخوانهم الزط ، فقد كانوا يعانون من سوء معاملة الطبقة البرهمية الحاكمة ، بيد أنه لمّا أن شع نور الإسلام على أهل الديبل حتى اعتنقه كثيرٌ منهم ، فتحسنت أحوالهم من جميع النواحي ، وقد أفاد العرب المسلمون الفاتحون من طاقات هؤلاء وغيرهم من الطوائف الأخرى فاستخدموهم كمترجمين ؛ ولمعرفتهم بطبيعة البلاد وأحوالها ولا سيما من الناحية الطوبوغرافية استعملهم المسلمون كأدلاء للطرق والمسالك ، كما أفادوا من طاقاتهم وخبراتهم الحربية ؛ بُغية نشر الإسلام في المشرق ، فجنّد محمد بن القاسم الثقفي – قائد الجيش الإسلامي في جبهة السند – منهم في جيشه أربعة آلاف مقاتل[٢] .

وإن دل هذا على شيء إنما يدل على حسن إسلام هؤلاء ،وشعورهم بالمسؤولية تجاه العقيدة الجديدة،فحملوا راياتها لتحرير إخوانهم في المشرق من جور الحكام وبراثن الوثنية.

ثانياً: اللباس والزينة

تعددت أنواع الملابس والأزياء التي كان يرتديها أهل الديبل ، وهذا أمر طبيعي في بلد متنوع النسيج الاجتماعي ، فقد تعددت فيه الأجناس والعادات والأديان قبل الإسلام وبعده .

وكان للديانة البراهمانية (البرهمية) أثرٌ كبير في تنوع أزياء أهل البلاد ، فقد كانت تعليمات وأوامر الكهنة صارمة جداً في هذا المجال ، إذ اجبروا الزط والميد على ارتداء زي موحد ؛ تمييزاً لهم عن غيرهم ، وكان هذا الزي عبارة عن جِلباب[٣] وإزار مصنوع من

---

(٥)الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ١ /١٦٧ .

(٢)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٦٠.

(٣)جِلباب : مفرد جلابيب ، وهو الإزار والرداء ، وقيل: الملحفة ، وقيل : هو كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وصدرها وظهرها ، ابن الأثير ، النهاية ، ٢٧٣/١ .

ISSN:2071-6028

قماش أسود خشن وثقيل ، وعلى الكتفين يوضع منديل من القماش نفسه ، ومُنعوا من ارتداء الملابس الملونة ومن وضع غطاء على رؤوسهم ومن ارتداء الأحذية [١].

ولمّا حرر العرب المسلمون الديبل واستقر قسم منهم بها تأثر بهم أهل البلاد من كل النواحي ولا سيما فيما يتصل باللباس والأزياء فأصبح زيهم كزي المسلمين ، أضفت عليه الألوان الزاهية رونقاً وبهاءاً ، كما أخذوا يطولون شَعر رؤوسهم ويسرحونه[٢] ، وكان لباس عامة الناس الأُزر والميازر ؛ لحرارة الجو في بلادهم[٣] ، مما يدعوا إلى ارتداء الملابس الفضفاضة . كما كانوا يضعون الأقراط في آذانهم[٤] .

أمّا زي الخطباء فإنهم كانوا يرتدون الأقبية والمناطق[٥] التي تميزهم عن غيرهم من السكان[٦] ، في حين كان التجار والموسرون وأعيان أهل البلد يرتدون القمصان والأردية ، وهو كزي أهل العراق وفارس[٧] .

ونستشف مما تقدم أن الحالة المادية لأغلبية سكان البلاد قد تحسنت في ظل الحكم العربي الإسلامي ، فضلاً عن تخلصهم من القيود الطبقية التي كانت تفرضها عليهم الديانة البراهمانية ، فكان لذلك أثره في تنوع زي أهل الديبل ، بما يناسب أذواقهم والقدرة الشرائية لديهم ، فكان التجار والموسرون يرتدون الملابس الفاخرة الثمينة ، في حين كان

---

(١)شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٦٧ .

(٢)الإصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، (ت٣٤١هـ /٩٥٢م) ، مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٩٣٧م) ، ص١٧٧ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص ٢٨٠ ، ٢٨١

(٣)الإصطخري ، مسالك الممالك ، ص١٧٧ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٨٠ ، ٢٨١ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٣٤٦ .

(٤)ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٨٠ .

(٥)المناطق: جمع منطقة ، هي ما يُنتطق به ، وهي كالنطاق الذي يُشد على وسط الجسم ، ابن دريد ، جمهرة اللغة ، ٢٩٥/٢.

(٦)الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٣٨٢/١ .

(٧)الإصطخري ، مسالك الممالك ، ص١٧٧ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٨٠ .

ISSN:2071-6028

العامة من الناس يرتدون الملابس الرخيصة الأسعار الزاهية الألوان . فكانوا بحق كما وصفهم المقدسي[١] : ((أهل ظرف وتلبُّس)) .

ثالثاً: المساكن

اختلفت مواد البناء وتنوعت في مدينة الديبل ؛ تبعاً لاختلاف وتنوع المواد الأولية المتوافرة للبناء ، وكذلك تبعاً للحالة المادية للسكان . وكان أكثر بنيانهم بالطين والخشب[٢] ، فمادة الطين متوافرة بشكل طبيعي ، أما الخشب فكان متوافر في المنطقة لكثرة إنتاجه ، فمنطقة الديبل من المناطق الاستوائية التي تنمو فيها الغابات ؛ مما يسهل على السكان الحصول على هذه المادة بكل سهولة ويسر ، فكان غالبية العمال والفلاحين يبنون بيوتهم من هاتين المادتين . وكان بعض الناس يسكنون في الأكواخ ، ولا سيما الذين يعيشون في مناطق البطائح والمستنقعات[٣] ، أي أن مساكن هؤلاء كانت بسيطة ، تقتصر على توفير ما هو ضروري من مأوى يقيهم سوء الظروف المناخية.

أما أفراد طبقة الرقيق وأصحاب الخدمة فقد كانت مساكنهم بسيطة وتقع خارج المدينة ؛ لأن أسيادهم لم يسمحوا لهم بالسكنى معهم ، فكانوا يقومون على خدمتهم نهاراً ويخرجون إلى بيوتهم ليلاً[٤] ، بيد أن أحوال هؤلاء قد تحسنت في ظل الحكم العربي الإسلامي ، فالذين أسلموا منهم صاروا أحراراً وأصبح بإمكانهم التنقل من مكان إلى آخر ومزاولة المهن التي يرتأونها[٥] .

وكانت منازل أفراد الطبقة الحاكمة والأعيان والأثرياء والموسورين من الناس مبنية من الحجر والجص ، وهذا ما يمكن الإستدلال عليه من بناء المعبد الكبير – البُد – في

---

(١)أحسن التقاسيم ، ص٣٤٦ .

(٢)الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ١٦٧/١ .

(٣)ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٤)البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد ، (ت٤٤٠هـ /١٠٤٨م) ، تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، ط١ ، عالم الكتب ، (بيروت ، ٢٠٠٨م) ، ص٧١ ؛ ينظر: الأعظمي ، دراسات ، ص٥٧٤ ، ٥٧٥ .

(٥)مكتب التبيان ، الموسوعة المفصلة ، ٧٦٤/٢.

ISSN:2071-6028

مدينة الديبل ، إذ كان مبنياً من هاتين المادتين[١] ، وفضلاً عن ذلك ما ذكره المقدسي[٢] في معرض حديثه عن موقع مدينة الديبل أن ((البحر يسطع جدارات المدينة)) . ومن المعلوم أن الأبنية التي تقع على السواحل ويلامسها الماء لا يمكن أن تُبنى إلاّ بالحجارة القوية والمواد الأخرى المقاومة للأملاح وعوامل التعرية .

وبعد أن فتح محمد بن القاسم الثقفي الديبل وحررها ، اختط – كما سبق أن ذكرنا – للجند المسلمين مدينة تقع شرقي المعبد الكبير ، ووزّع عليهم نحو أربعة آلاف قطعة أرض ، فابتنوا عليها مساكنهم ، كما ابتنى فيها مسجداً جامعاً ضخماً [٣] .

رابعاً: الأعياد والمناسبات والأعراف والتقاليد

حفلت الديبل بالكثير من الديانات والثقافات كالبرهمية (الهندوسية) ، والإسلامية ، والنصرانية ، والبوذية وغيرها ؛ فنتج عن ذلك كثرة الأعياد والمناسبات وأصبحت لها بمرور الزمن تقاليد وأعراف بعضها يتعلق بالطبيعة الدينية ،وبعضها الآخر يتعلق بالمواسم والفصول ، ومن الأعياد الدينية عند البراهمة الهندوس التي يتقربون بها إلى آلهتهم ، عيد (ديباولي) و(هولي) و(دسهرا) و(رامانومي) و(جنماشتمي) و(مها شيفرا تري) ،ويعد عيد ديباولي الذي يُعرف بـ(عيد الأنوار) من أكبر الأعياد احتفالاً ، ويكون في نهاية فصل الخريف ، وهو مناسبة دينية تستمر أربع أيام من اليوم الثاني عشر إلى الخامس عشر من شهر تشرين الأول ، وفي أيامه تُزَيَّن الشوارع والمحلات والبيوت في المدن والقرى بمصابيح الإنارة والإضاءة ، وتُمارَس خلال أيامه الألعاب من قبل الصغار والكبار[٤].

---

(١)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/ ٢٠٢ .

(٢)أحسن التقاسيم ، ص٣٤٦ .

(٣)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٦ .

(1) أحمد ، أنصار ، مقال: ديباولي (عيد الأنوار) ، مجلة ثقافة الهند ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية نيودلهي ، المجلد٥٦ ، العدد ١ ، لسنة ٢٠٠٥م ، ص ٢٤٤ وما بعدها.

ISSN:2071-6028

ويحتفل المسلمون في الديبل وأنحاء السند والهند بعيد الفطر ، وعيد النحر (الأضحى)، ويحتفل النصارى بعيد ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) ، والجمعة الحزينة ، وعيد الفصح ، أما أبناء الطائفة البوذية فيحتفلون بعيد ميلاد بوذا [١].

ويستقبل الناس هذه الأعياد بتنظيف وتزيين وترتيب البيوت وأماكن العبادة ، كما يقومون بتنظيف أجسامهم ، ويرتدون أفخر ملابسهم ، ويتوجهون إلى دور العبادة المقدسة لديهم ، بُغية تقديم القرابين لآلهتهم ، أو لحضور خطبة العيد وأداء الصلاة في المساجد والجوامع بالنسبة للمسلمين[٢] .

وفي الأعياد والمناسبات الموسمية والمحلية يلتقي الناس ببعضهم البعض ، ولهم الحرية في ممارسة الألعاب والرقص والغناء[٣] .

والزواج عند البراهمة الهندوس مناسبة جليلة مباركة ، وهو أقوى رابط اجتماعي بين الرجل وزوجته في هذه الحياة الدنيا ، وهو اتحاد بين عائلتين بدلاً من زوج وزوجته[٤].

وقد قسم البراهمة الهندوس الحياة إلى أربعة مراحل ، والمرحلة الثانية منها هي المرحلة العائلية التي تبدأ بالزواج وعندها تبدأ الحياة العائلية[٥] ، وعلى الرغم من أن الديانة البرهمية تبيح تعدد الزوجات ، إلاّ أن تعاليم الفيدا تحث الرجل على الاكتفاء بزوجة واحدة[٦] ، ويجوز للرجل أن يتزوج من طبقة أدنى من طبقته على أن لا تكون من طبقة الشودرا ، ولا يجوز للرجل من طبقة الشودرا أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته بأي حال

---

(١) أحمد ، مقال: ديباولي ، ص٢٤٥ .

(٢)م.ن.

(٣) م.ن.

(٤)قطب الدين ، محمد ، مقال: الزيجة الهندوسية عادات وتقاليد ، مجلة ثقافة الهند ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية نيودلهي ، المجلد٥٥ ، العدد ١ ، لسنة ٢٠٠٤م ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٥)الأعظمي ، دراسات ، ص٥٨٥ ؛ مكتب التبيان ، الموسوعة المفصلة ، ٧٦٩/٢ .

(٦)الأعظمي ، دراسات، ص ٥٩٣ ، ٥٩٤ .

ISSN:2071-6028

من الأحوال[١] ، والديانة البرهمية القديمة تجيز عقد القران للطفل ، بيد أن القانون الهندي الحديث منع ذلك إلاّ في سن الشباب[٢].

وتعد مراسيم الزواج من المراسيم والمناسبات المميزة عند البراهمة الهندوس . ويعرف حفل الزواج بأنه (مهرجان الأعين) حيث يرى الناس ما لايرونه من الزينة وأنواع الملابس الزاهية للعروسين والضيوف ، والغاية من هذه المراسيم الاجتماعية توثيق وزيادة أواصر المودة والمحبة بين العائلتين ، ومن مراسيم الزواج الخطوبة ، وتتمتع بشرعية قانونية كعقد ومبدأ عند الهندوس ، وفي حال زواج المرأة المطلقة أو الأرملة لا تعاد المراسم التي تم أدائها في خطوبتها الأولى[٣] ، ومن عاداتهم وتقاليدهم أن يقام حفل عقد القران في بيت أهل العروس ، حيث يحضره الزوج مع أقربائه وأصدقائه ، وتوقد النيران في مكان طاهر في البيت ويسكب فيها السمن الخالص من البقر ، ويربط ذيل ثوبي كل من العروسين بالآخر ، ويطوفان حول النار عدة مرات ، ويتم ذلك من خلال حضور رجل دين من طبقة البراهمة يقوم بقراءة (دعاء البركة) – وهو من تعاليم الفيدا– وعندها تنتهي مراسيم عقد القران[٤].

وقد جرت التقاليد عند الزفاف تجميل العروس بالحنّاء ومعجون الكركم على يديها ، واللون الأحمر على قدميها ، كما توضع نقطة حمراء على جبينها ، وتوضع الأقراط على شكل حلقات دائرية ، وحلقة دائرية على أنفها ، ويزين العريس بمادة الحناء على يديه ، ويرتدي الملابس الزاهية الألوان كاللون الأحمر أو القرنفلي[٥] ، وحين يزف العريس عروسته إلى بيته يُستقبل العروسين من قبل نساء عائلته بكل ود واحترام وتستقبلهما أمه

(١)مكتب التبيان ، الموسوعة المفصلة ، ٧٦٣/٢.

(٢)المرجع نفسه ، ٢/ ٧٦٩.

(٣)قطب الدين ، مقال: الزيجة الهندوسية ، ص ١٥٠ ، ١٥٣ .

(٤)الأعظمي ، دراسات ، ص ٥٩٣ ؛ قطب الدين ، مقال: الزيجات الهندوسية ، ص ١٥٢ .

(٥)قطب الدين ، مقال: الزيجات الهندوسية ، ص ١٥٨ ، ١٥٩.

ISSN:2071-6028

عند باب الدار ، وتقوم بصب زيت الخردل على جانبي الباب ، ثم يدخلان الدار[١] ، وهكذا تبدأ الحياة الزوجية عند المجتمع البرهمي .

وهناك تعاليم برهمية أصبحت أعراف وتقاليد يتمسك بها أتباعها ، على الرغم من وجود تضارب مع بعضها البعض فمثلاً بعض التعاليم تجيز للرجل الذي تموت زوجته أن يتزوج ثانية ، في حين أن هناك تعاليم ترفض الزواج ثانية في حال وفاة الزوجة الأولى[٢] ، وهناك أعراف وتقاليد توجب على المرأة الأرملة عدم الزواج ثانية بعد وفاة زوجها وأن عليها أن تحرق نفسها بالنار مع زوجها المتوفى ، في حين أن الأرملة التي تفضل البقاء على قيد الحياة فإن عليها أن تعيش حياة ذليلة وقاسية وتكون موضعاً للاحتقار وتصبح مرتبتها دون مرتبة الخادمة[٣] ، وحتى البنت البكر من طبقة البراهمة أو الكشتري أو الويش التي يتوفى عنها زوجها قبل الدخول بها يُحرم عليها الزواج من رجل آخر[٤] .

وتعاليم منو تُحِّرم الزواج من جهة الأب والأم إلى سبعة أجيال ، وتبيح تعاليم ديانند المتعة للمرأة الأرملة وغيرها ، كما تبيح المتعة للرجل الذي تموت زوجته أن يتمتع بالمرأة المتزوجة ؛ لتنجب له الأولاد[٥].

والمرأة الهندوسية لم يفرض عليها الحجاب ، ولها أن تختلط بالرجال في عدة مناسبات كحفلات الزواج ، وعند تقديم القرابين للآلهة ، كما لها الحق أن ترقص أما الصنم ؛ كي تحصل على الثواب والرضا[٦] ، ويجب على الرجل أن لا يجامع المرأة ولا ينام معها في حالة حيضها ؛ لأن ذلك – حسب اعتقادهم – يؤدي إلى ضعف الجسم ، ونقصان العمر[٧].

---

(١)المرجع نفسه ، ص ١٥٧ .

(٢)الأعظمي ، دراسات، ص ٥٩٥.

(٣)م.ن ؛ مكتب التبيان ، الموسوعة المفصلة ، ٧٦٩/٢ .

(٤)الأعظمي ، دراسات ، ص٥٩٥.

(٥)الأعظمي ، دراسات ، ص٥٩٦ ، ٥٩٧.

(٦)المرجع نفسه ، ص٥٩٧.

(٧)المرجع نفسه.

ISSN:2071-6028

ومن المعتقدات الهندوسية الحلول والتناسخ ، فهم يؤمنون بأن البعث في الآخرة أنما هو للروح لا للجسد ؛ لذلك جرت العادة عندهم حرق جثة الميت ؛ لأنهم يعتقدون أن حرق الجثة هو تخليص للروح من قيد الجسم ، فتنطلق إلى الملكوت الأعلى ، وتحل في جسد آخر بحسب عمل الإنسان أثناء حياته الأُولى ، وهذا بالطبع يقوم على اعتقادهم بأزلية الروح ودوامها(١).

ومن التقاليد التي فرضتها الديانة البرهمية أن الذي يكتب الكتاب المقدس هو رجل مغفور له مهما كانت ذنوبه ، وأنه لا يحق للملك بأي حال من الأحوال أن يأخذ أية جباية أو ضريبة من البراهمة ، وأن البرهمي إذا ارتكب جريمة يستحق القتل بسببها فإنه لا يجوز للحاكم قتله ، إنما يعقبه بحلق رأسه فقط ، وأن البرهمي الذي في العاشرة من عمره يفوق الشودري الذي عمره مائة سنة ، وأنه لا يصح للبرهمي أن يموت جوعاً في بلاده ، وأن المنبوذين هم أحط مرتبة من البهائم بحسب قانون منو ، ومن سعادتهم خدمة أسيادهم البراهمة دون أجر أو ثواب ، وإذا مد أحدهم إلى برهمي يداً أو عصاً ليبطش به قطعت يده ، وأن كفارة قتل الكلب أو أي حيوان آخر ورجل من المنبوذين سواء(٢).

ولا شك أن نظام الطبقات هذا مناف لأبسط حقوق الإنسان في الحياة ، ذلك الإنسان الذي خلقه الله تعالى وفضله على كثير من خلقه.

المبحث الرابع

الحياة الدينية والثقافية في مدينة الديبل

أولاً: الناحية الدينية:

حفلت بلاد السند منذ القِدم بالكثير من الأديان والمعتقدات(٣) ، بيد أن الديانة الرئيسة في عموم بلاد السند ، ومنها الديبل ، قبل الإسلام كانت البرهمية (الهندوسية) ، وقد أُطلق

(١)مكتب التبيان ، الموسوعة المفصلة ، ٧٦٨/٢ ، ٧٦٩.

(٢)المرجع نفسه ،٢/ ٧٦٩.

(٣)الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ١٦٧/١ .

ISSN:2071-6028

على كهنتها تسمية: البراهمة ، أو البراهمانية ؛ نسبة إلى برهم ، أو برهام ، أو إلى براهمان ، الذي ذُكِر في : الفيدا ، ومعناه: الكينونة ، التي استنبطها الكهنة من الفيدا ، ووضعوا قواعدها وقوانينها الصارمة ، كما أنهم حصروا طقوسها الدينية فيهم ، وأعلنوا سيادتهم ، وتعصبوا لعنصرهم ، فصيَّروه يَسْمو على غيره من العناصر الأخرى ، كما أنهم صَيّروا الكهانة وراثية ، يتعاقبها أبناؤهم من بعدهم ، وقد قسّم البراهمانية الأولى الشعب إلى أربع طبقات:

الأولى: تقتصر على البراهمة ، ومعناه: العارف بالله وحامل العِلم والمعرفة[١].

الثانية: الكَشْتَري ، وهم الجند ، والمسؤولون عن حفظ الأمن والنظام ، ويسميهم البيروني[٢] : كْشَتر ومعناه: الشجاع صاحب السلطة .

الثالثة: الوَيش: وهم العمال ، وأصحاب المهن ، والفلاحين ، الذين يقومون بتوفير الغذاء ، ويسميهم البيروني[٣] : بَيش .

الرابعة: الشُودَرَا: وهم الرقيق ، ويسميهم البيروني[٤] : شُودر ومعناه : الذليل المهان.

والحقيقة أن الديانة البراهمانية كانت تقوم على الكثير من الأساطير والخرافات ، ومنها الأسطورة التي على أساسها أَقْدَمَ الكهنة على تقسيم الشعب إلى الطبقات التي ذكرناها آنفاً ، وفحوى هذه الأسطورة أن الكهنة خُلِقوا من رأس براهمان ، والجند من منكبيه وذراعيه ، والصنّاع والزراع – الفلاحين – من فخذيه ، والرقيق من قدميه[٥] .

---

(١)البيروني ، تحقيق ماللهند ، ص ٧١ ؛ ينظر: الأعظمي ، دراسات ، ص ٥٧٠ ، ٥٧١ .

(٢) م.ن؛ ينظر: المرجع نفسه ، ص ٥٧١ ، ٥٧٢ .

(٣) م.ن ؛ ينظر: المرجع نفسه ، ص ٥٧٣ ، 574 .

(٤)تحقيق ماللهند ، ص ٧١ ؛ ينظر: الأعظمي ، دراسات ، ص ٥٧٤ وما بعدها ؛ مكتب التبيان ، الموسوعة المفصلة ، ٧٦٣/٢ .

(٥) م.ن ؛ ينظر: مكتب التبيان ، الموسوعة المفصلة ، ٧٦٣/٢.

ISSN:2071-6028

وخص الكهنة البراهمانية الأولى أنفسهم بالتعلم والعلم والثقافة ، والأسرار الدينية وحَرَّموها على غيرهم ، وكان للبراهمانية تسعة كتب مقدسة هي[١] :

١- الفيدا ، وتتألف من أربعة كتب هي : رج فيدا ، وياجور فيدا ، وسامافيدا ، وأثرفيدا .

٢- البُرنا . ٣- قوانين منو. ٤- دَهْرَم شاسْترا . ٥- مها بهارتا . ٦- كيتا.

٧- يوجا فاسِشْتا . ٨- رامايانا . ٩- الفِيدانت.

وقد أوجب الكهنة تقديس رجال الدين ، وحملوا الناس على ذلك ؛ بحجة تأثيرهم في الآلهة ، ثم تطور الأمر إلى تأليههم ، ولقبوا أنفسهم بالآلهة البشريين ، وبمرور الزمن ؛ ونتيجة لتطور الأوضاع ، تفتحت أذهان الناس ، وأخذوا ينبذون مبدأ السمو وتأليه الكهنة ، فظهرت مذاهب جديدة مناهضة للبراهمانية الأولى ، فأضعفتها وأضعفت نفوذ الكهنة ؛ مما حملهم على مجاراة أفكار الناس وعقائدهم الجديدة ، وحاولوا التوفيق بين المذاهب الجديدة وبين ما في الفيدا ، فأقر الكهنة ثلاثة آلهة[٢] :

الأول: براهمان ، وهو الرئيس الأعلى.

الثاني: فيشنو ، أو (وشنو) ، وهو إله الحياة الدائب على إنمائها وتطورها.

الثالث: سيفا ، أو (سيوا) ، وهو إله الخراب ، ولكن رئيس الكهنة أظهره بصورة خيِّرة ، وأطلق عليه اسم : كالا آي ، يعني: إله الهلاك.

وكانت للبراهمانية في الديبل معبد ضخم – بيت الصنم –يطلق عليه (البُد) الذي يقدسونه ، بلغ ارتفاع قبته أربعون ذراعاً [٣] ، وله منارة عظيمة تعلوها سارية تحمل راية حمراء كبيرة جداً ترفرف في سماء المدينة ،ويقوم على خدمته مئات السدنة من الرجال والنساء[٤] ، وكان أهل السند يعتقدون أن الخدمة في المعابد فيها ثواب عظيم ، وأن من أراد أن يُكرِم ابنته وأراد لها الخير ، جعلها وقفاً للمعابد ؛ ولذلك وُجد عند الفتح الإسلامي للديبل نحو سبعمائة فتاة كن موقوفات لخدمة المعبد الكبير .

---

(١)مكتب التبيان ، الموسوعة المفصلة ، ٧٦٥/٢ ، ٧٦٦ .

(٢)المرجع نفسه ، ٧٦٧/٢ .

(٣)اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٢/٢ .

(٤)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٢/٢ .

ISSN:2071-6028

وفضلاً عما ذكرنا كانت هناك معابد أخرى مقدسة في عقيدة أهل الديبل وعموم بلاد السند ، ومن أشهر هذه المعابد معبد المُلتان ، فقد ذكره ابن حوقل[١] في معرض حديثه عن هذه المدينة ، أنه بها ((الصنم الأعظم للهند ، الذي تحج إليه من أقاصي بلدانها ، وسائر أصقاعها ، وتعظمه ، ويتقرب إلى هذا الصنم في كل سنة بمال عظيم ، فينفق على بيت الصنم ، وعلى سدنته والمعتكفين عليه منهم)).

ثانياً: الناحية الثقافية

١- اللغة :

تعددت اللغات في مدينة الديبل قبل الإسلام وبعده ؛ وذلك يعود بطبيعة الحال إلى تعدد الأجناس التي تقطنها ، وكانت اللغة السنسكريتية هي اللغة الرسمية للبلاد قبل الإسلام ، فهي لغة الكتب المقدسة الهندية ، ولغة الإدارة والسياسة[٢] ، ولَمّا حررها العرب المسلمون ، وصارت جزءاً من الدولة العربية الإسلامية ، أصبحت الإدارة عربية خالصة ، فصار من البديهي أن تصبح اللغة العربية هي لغة الإدارة ، أو بعبارة أخرى لغة الحكام وكبار الموظفين والعلماء والقضاة والمدارس والمراكز العلمية الأخرى ؛ إذ كان لزاماً على المسلم أن يقرأ القرآن الكريم باللغة العربية ، سواء أثناء الصلاة أو غيرها ، فَتَعَلُّم اللغة العربية كان من مقومات الإيمان بالله تعالى ؛ لذلك أقبل أهل البلاد على تعلم اللغة العربية وإجادتها .

وهكذا أخذت اللغة العربية موقعاً لها في نفوس أهل الديبل إلى جانب اللغة السندية ، بل تفوقت عليها[٣] ، رغم أنه لم يكن هناك أوجه تشابه بين هاتين اللغتين، وهذا ما أشار إليه البيروني[٤] ، إذ ذكر أن لغة أهل السند تختلف كلياً عن اللغة العربية وحروفها كذلك ، ، ويصعب على العربي نطق أكثر كلماتها وأسمائها .

---

(٣)صورة الأرض ، ص٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(4)الأعظمي ، دراسات ، ص ٥٢٣ وما بعدها .

(١)الإصطخري ، مسالك الممالك ، ص١٧٧ ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص٣٤٦ .

(٢)تحقيق ماللهند ، ص ١٨ .

ISSN:2071-6028

٢- الجانب العلمي

أَوجدت الديانة البراهمانية نظام طبقات المجتمع على أساس ديني ، بيد أن أثرها تعدى ذلك ، فقد كانت طبقة الكهنة والحكام وكبار الموظفين والإداريين يملكون كل شيء ومن حقهم أن يتعَلَّموا ويُعلِّموا أبناءهم ، في حين حَرَموا فئات كثيرة من أبناء المجتمع وبخاصة الذين ينتمون إلى الطبقة الرابعة من طلب العلم ، الذي هو حق من حقوق الإنسان ، كما حرَّموا عليهم قراءة وسماع الكتب الهندية المقدسة[١] ، وأن من ادعى من أفراد هذه الطبقة المنبوذة أنه يعلِّم برهمياً ، فإنه يُسقى زيتاً مغلياً ، وإذا ماهَمَّ بمجالسة برهمياً يكوى إسته ويُنفى من البلاد[٢] .

ولمّا شع نور الإسلام على الديبل ، واعتنق غالبية أهلها الإسلام – كما أسلفنا – ، أزاح عنهم ظلمات العبودية والوثنية والجهل والتخلف ، وأصبحوا ينعمون بحرية الإسلام وعدالته وسماحته ؛ ممّا هيأ لهم الفرص المناسبة للتعلم ، وكانت المساجد أُولى المراكز العلمية والفكرية في البلاد ، ثم أُنشأت المدارس فيما بعد ، فنشطت الحركة العلمية .

ولا يمكن إغفال دور التجار العرب المسلمين ونشاطهم في الدعوة الإسلامية من خلال تنقلهم بين موانئ شبه القارة الهندية وإسهامهم في النشاط الاقتصادي ، في بث كثير من العلوم والمعارف الإسلامية ، فضلاً عن تنشيط وتحريك طاقات أهل البلاد وثقافاتهم الراكدة والمعطلة . ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى حفلت الديبل بمشاهير العلماء والمحدثين ، نخص منهم بالذكر :

أ- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله الديبلي ، يروي عن موسى بن هارون ، ومحمد بن الصائغ ، وغيرهما[٣] .

---

(3)البيروني ، تحقيق ماللهند ، ص٨٨ .

(٢)الأعظمي ، دراسات ، ص٥٧٦ وما بعدها ؛ مكتب التبيان ، الموسوعة المفصلة ، ٧٦٣/٢ وما بعدها .

(١)السَّمعاني ، أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور ، (ت٥٦٢هـ /١١٦٦م) ، الأنساب ، وضع حواشيه: محمد عبدالقادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٨م) ، ٢/ ٥٨٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٩٥/٢ .

ISSN:2071-6028

ب- أبو العباس أحمد بن عبدالله بن سعيد الديبلي ، رحل في طلب العِلم ، وطاف كثيراً من البلدان ، كالبصرة وبغداد ومكة المكرمة ودمشق وبيروت ومصر ونيسابور ، وسمع من شيوخها ، وكان أبو العباس من الزهاد الفقراء العباد ، يلبس الصوف ويمشي حافياً في بعض الأحيان(١).

ت-خلف بن محمد الموازيني الديبلي ، سكن بغداد ، وحدّث بها عن علي بن موسى الديبلي ، وحدّث عنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمران بن الجندي(٢) .

ث-أبو القاسم شعيب بن محمد بن أحمد بن شعيب الديبلي ، المعروف بإبن أبي قطران الديبلي ، رحل إلى مصر ، وحدَّث بها(٣).

ج-أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبدالله الديبلي ، سكن مكة المكرمة ، روى (كتاب التفسير) لإبن عيينة عن أبي عبيدالله الحسين بن الحسن المروزي ، كما روى عن عبدالحميد بن صبيح ، وروى عنه ابنه إبراهيم بن محمد – سبق ذكره – وأبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس المكي ، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن المقرئ(٤) .

المبحث الخامس

الحياة الاقتصادية لأهل الديبل

تنوعت الأنشطة الاقتصادية وموارد المعيشة للسكان في مدينة الديبل ونواحيها ، وكانت أسواقهم حافلة بمختلف السلع والبضائع ، فمنهم من مارس مهنة التجارة ، ومنهم من مارس الحرف الصناعية ، ومنهم من اشتغل في الزراعة ، أو في مهن أخرى ، بَيْد أن النشاط الرئيسي لأهلها كان التجارة . حتى أننا نجد أن المقدسي(٥) يقول عنهم: ((كلهم

---

(١)السَّمعاني ، الأنساب ، ٥٨٦/٢.

(٢)م.ن .

(٣) م.ن.

(٤)المصدر نفسه ،٥٨٥/٢ ، ٥٨٦ .

(٥)أحسن التقاسيم ، ص٣٤٦ ؛ ينظر: هوروفتز ، مقال: ديبل ، دائرة المعارف الإسلامية ، ٣٥٨/٩ .

ISSN:2071-6028

تجار)). وبالتأكيد فإن ذلك يعود إلى الموقع الاستراتيجي المهم لهذه المدينة ، على ساحل بحر الهند ؛ مما هيّأ لها أن تصبح حلقة وصل للتجارة العالمية بين شرق العالم وغربه ، يضاف إلى ذلك قلة الزراعة فيها ، فمعظم أراضيها جدية قليلة الخصوبة ؛ مما يحد من قابليتها على الإنتاج الزراعي ، وجذب أكبر ما يمكن من الأيدي العاملة للاشتغال فيها . فقد وصفها الإدريسي[١] بأنها: ((جدبة الأرض ، قليلة الخصب ، ليس فيها شجر ولا نخل ، وجبالها جرد ، وسهولها قشفة عديمة النبات)) .

ولكن ما ذكر ليس معناه انعدام الزراعة وما يتعلق بها من الأنشطة بالكلية ، فمن أهلها من مارس مهنة الزراعة ولكن على نطاق ضيق[٢] ، أو كان يزاول تربية الجاموس ويتغذون على ألبانها وأجبانها ، وعلى خبز الذرة[٣] ، مِمّا يشير إلى زراعة هذا المحصول في البلاد . ومنهم من يعمل في صيد الأسماك وطيور الماء ؛ بُغية توفير الغذاء اللازم لهم ، ثم يبيعون الفائض عن حاجتهم ، ومنهم من زاول حرفة الرعي ، فكانت لهم مراعي واسعة في بوادي الديبل ونواحيها ، ومواشي كثيرة ، ويتغذون على الألبان والأجبان وخبز الذرة[٤] .

لقد حبا الله سبحانه وتعالى مدينة الديبل موقعاً تجارياً هاماً ، حتى صارت محطة للقوافل التجارية البرية والبحرية على المستوى المحلي والإقليمي والدولي . فكانت بحق كما وصفها ابن حوقل[٥] : ((متجر عظيم ، وتجارتها من وجوه كثيرة ، وهي فرضة هذه البلاد وغيرها ... وإنما مقامهم بالتجارة)) .

بَيْد أن عملية تصدير واستيراد السلع والبضائع من وإلى الديبل عبر الطرق البرية والبحرية ليس بالأمر الهيّن ؛ بل كانت محفوفة بالكثير من المخاطر ، المتمثلة بسوء الأحوال الجوية ، أو مداهمة القراصنة وقطاع الطرق للقوافل التجارية ، وفي ذلك يقول

---

(١)نزهة المشتاق ، ١٦٧/١.

(٢)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٢٤ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٧٩ .

(٣)ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٨٣ .

(٤)المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٣ .

(٥)صورة الأرض ، ص٢٧٩.

ISSN:2071-6028

المقدسي[١]: ((... ولا تصل إلاّ بعد أخطار البر ، وأهوال البحر ، بعد الشق وضيق الصدر)).

والطرق البرية الرئيسة التي تربط الديبل بالمدن والمناطق الأخرى كما ذكرها ابن حوقل[٢] ، هي :

أولاً: الديبل ، إلى منجابري مرحلتان ، ثم إلى فنزبور اثنتا عشرة مرحلة ، ثم إلى كيز مرحلتان ، ثم إلى تيز مكران نحو خمس مراحل.

ثانياً: الديبل ، ثم إلى قمبلي أربع مراحل ، ثم أرمابيل ، ثم مكران .

ثالثاً: الديبل ، ثم إلى المنصورة ست مراحل ، ثم إلى الملتان اثنتا عشرة مرحلة ، ومن المنصورة إلى طوران نحو خمس عشرة مرحلة .

أما الطريق البحري الذي يربط البلاد العربية بالمشرق ، فقد كانت السفن التجارية تنطلق من الأبلة – البصرة – ، أو من عُمان ، وبعض موانئ الخليج العربي الأخرى ، فتمر بالموانئ الرئيسة على سواحل بلاد فارس ، ثم بلاد السند كسيراف وتيز مكران ، ثم تصل إلى الديبل ، ثم تنطلق منها شرقاً إلى تانة ، ثم إلى كولم ملي ، حتى تصل إلى بلاد الصين والبلدان الأخرى[٣] .

كانت الديبل – ولا زالت – من أشهر موانئ بلاد السند المطلة على بحر الهند ، فهي فرضة هذه البلاد ، وقد ازدهرت العلاقات التجارية بين أهلها وبين العرب قبل الإسلام وبعده ، فكان للتجار العرب دور في تنشيط الاقتصاد الديبلي ، ومما ساعد على ذلك ؛ أن البراهمة أَمِنوا جانب المسلمين ، فلم يشكل تنقل التجار المسلمين خطراً عليهم ؛

---

(١)أحسن التقاسيم ، ص٣٤٤ .

(٢)صورة الأرض ، ص٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٣)المصدر نفسه، ص٢٨١ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ١٦٧/١ ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٣٤٩ .

ISSN:2071-6028

ولعل ذلك يعود إلى قلة أعدادهم من جهة ، ثم إلى عدم تدخلهم في الشؤون السياسية من جهة أخرى ؛ لذلك سَمَحوا لهم بالتنقل في أنحاء البلاد بحرية تامة[١] .

مارس أهل الديبل التجارة على نطاق واسع ، ولم يقتصروا على المتاجرة بالسلع والبضائع التي تُنتج في بلادهم فحسب . بل كانت البضائع تردهم من مختلف بلدان العالم ، فيشتريها التجار الديبليون ، ثم يبيعونها لأهل بلادهم ، ومن ثَمَّ يصدرون الفائض عن الحاجة إلى بلدان العالم الأخرى ، واشتغل بعض تجار الديبل كوسطاء لنقل البضائع[٢] ، وكانت أسواقهم عامرة حفلت بالتجار من شتى البلدان . وعملتهم المتداولة القاهريات والطاطرا ، ويعادل كل قاهري خمسة دراهم ، أما الطاطرا الواحد فيعدل درهمين إلاّ ثُلثاً [٣] .

يصدر أهل الديبل المسك ، والقنا[٤] ، والقُسْط[٥] ، والخيزران إلى موانئ البلاد العربية كالأبلة ، والبحرين ، وصحار ، وعدن ، وغيرها[٦] ،

---

(١)حقي، إحسان ، باكستان ماضيها وحاضرها ، دار الجماهير ، (بيروت ، ١٩٧٣م) ، ص٢٥ ؛ الأعظمي ، محمد حسين ، حقائق عن باكستان ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (القاهرة ، د.ت)، ص٢٨ .

(٢)اليعقوبي ، البلدان ، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي ، ط١، دار الكتب العلمية ،(بيروت ، ٢٠٠٢م) ، ص٢٠٩ .

(٣)المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٣٤٨ .

(٤)القنا : جمع قناة ، وهي الرمح ، ويجمع أيضاً : قنوات وقُنِيّ ، الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، (ت ٦٦٦هـ /١٢٦٧م) ، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، (الكويت ، ١٩٨٢م) ، ص٥٥٤ .

(٥)القُسْط : نوع من العطور ، وقيل: هو العود . والقُسْط : عقار معروف في الأدوية طيب الرائحة ، تُبَخَّر به النفساء والأطفال ، ابن الأثير ، النهاية ، ٥٤/٤ .

(٦)ابن خرداذبة ، عبدالله بن أحمد بن عبدالله ، (ت نحو٣٠٠هـ /٩١٢م) ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، (بغداد ، ١٩٦٣م) ، ص٣٦ .

ISSN:2071-6028

ويصدرون الفَانيذ[١] ، وقصب السكر إلى كثير من بلدان العالم شرقيها وغربيها[٢] ، ويصدرون كثيراً من المنتجات المحلية الأخرى أيضاً ، مثل النارجيل[٣] ، والموز ، والليمون الحامض ، والسمسم ، وغيرها[٤] .

وأما واردات أهل الديبل ، فقد تنوعت هي الأخرى أيضاً ، إذ كانت تردها التمور العراقية عبر ميناء البصرة[٥] ، ومن عُمان[٦] ، وتأتيها الأقمشة من العراق ومصر بوساطة السفن التي تقصد الصين فتمر بها[٧] ، وتأتيها الأقمشة القطنية المصنوعة في كابل[٨] ، وتُصَدَّر إليها من البلاد العربية الخيول الأصيلة ، التي تتميز بجمالها ورشاقتها[٩] ، كما كانت تردها مراكب الهند والصين بالمسك ، والكافور ، والعود ، والثياب ، والأفاويه العطرية ، وغيرها من السلع والبضائع النادرة[١٠] .

وبمرور الوقت نمت ثروات تجار مدينة الديبل ، وتكدست لديهم الأموال الطائلة ، وقد تفنن هؤلاء في مزاولة مهنتهم ؛ بُغية تحقيق أكبر قدر من الأرباح ، فكانوا إذا أقبلت عليهم

---

(١)الفَانيذ: نوع من الحلوى يُعمل من السكر والنَشا ، الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي ، (ت٧٧٠هـ /١٣٦٨م) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ٤٨١/٢ .

(٢)ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٨١ .

(٣)النارجيل: الجوز الهندي ، ضناوي ، د.سعدي ، المعجم المفصل في المعرب والدخيل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٤م) ، ص٤٣٣ .

(٤)المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٣٤٤ ، ٣٤٧ ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٣٤٩ .

(٥)أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٣٤٩ .

(٦)الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ١٦٧/١ .

(٧)القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالله ، (ت٨٢١هـ /١٤٨١م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه: محمد شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٨٧م) ، ٨١/٥ .

(٨)الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ١٩٦/١ .

(٩)القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٨١/٥ .

(١٠)اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٠٩ ؛ ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٣٦ .

ISSN:2071-6028

السفن والمراكب المُحمّلة بالبضائع ، يسارعون إلى شراء أكبر كمية ممكنة من هذه البضائع ، ويقومون بخزنها ، حتى إذا أقلعت السفن عن مدينتهم ، يُخرجون تلك البضائع ويعرضونها للبيع في السوق ، فيبيعونها بأثمان عالية وكيفما شاؤوا ، أو ينقلونها إلى البلاد المجاورة ، فيحققون بذلك أرباحاً كثيرة جداً [١] .

نتائج البحث

توصلت من خلال هذا البحث إلى نتائج عدة ، كان أبرزها:

١- أن لموقع مدينة (ميناء) الديبل أهمية إستراتيجية ؛ مما جعلها أهم موانئ بلاد السند ، المطلة على بحر الهند ، فقد أسهمت إسهاماً فاعلاً في تنشيط التجارة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي .

٢- أن التجارة هي عماد حياة المجتمع الديبلي ، لأن مدينتهم كانت ملتقى التجار من كافة بلدان العالم شرقيّه وغربيّه ، يضاف إلى ذلك أن معظم أراضيها جدبة لا تشجع على قيام الزراعة على نطاق واسع .

٣- تكدس الثروات لدى تجار هذه المدينة ؛ لكثرة عمليات البيع والشراء ، وخبرتهم الواسعة في التجارة ، واحتكارهم للسلع والبضائع ، فكانت أسواقهم عامرة .

٤- أن النسيج الاجتماعي للمدينة عبارة عن خليط من عدة عناصر ، ثم أصبحت السيادة للآريين الذين غزوْا البلاد ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة، واستعبدوهم ، وفرضوا عليهم الأنظمة والقوانين الجائرة ، فلحق بهم من الحيف والظلم والقهر ما يندى له جبين الإنسانية ؛ مما يعد انتهاكاً فاضحاً لحقوق الإنسان ، وولّد ذلك كراهية السكان للآريين إلى اليوم .

٥- أن الديانة البراهمانية – الهندوسية – لم تكن سائدة في بلاد الهند منذ القدم ، و إنما جاء بها الآريون عند غزوهم للبلاد ، منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وفرضوها على الناس بالقوة .

٦- وبمرور الزمن طرأ تطور في الفكر الديني البرهمي ؛ نتيجة جهود المفكرين والمصلحين .

---

(١)الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ١٦٧/١ .

ISSN:2071-6028

٧- هجرة جماعات من أهل الديبل في مدة ما قبل الإسلام والاستقرار على سواحل البحار العربية ، في مناطق الخليج العربي ، والعراق ، واليمن . كما تم نقل بعضهم إلى جنوبي العراق وبعض سواحل الشام إبان العصر الأموي ؛ بُغية الإفادة منهم في تربية الجاموس الذي نقل إلى هذه البلاد من بلاد الديبل.

٨- مقاومة أهل الديبل للإسلام ، وعدم قبوله أول الأمر ؛ مما حَمَل المسلمون على فتحها عنوة .

٩- أن بلاد السند كانت جزء من دولة الهند ، ثم انفصلت عنها في سنة (١٩٤٧م) مكونة دولة باكستان الإسلامية .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ابن الأثير ، عزالدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ، (ت٦٣٠هـ /١٢٣٢م)

١- الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق ، ط٤ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٧م) .

- ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، (ت٦٠٦هـ /١٢٠٩م)

٢- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق: أبي عبدالرحمن محمد بن عويضة ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٢م) .

- الإدريسي ، أبو عبدالله محمد بن محمد بن إدريس الحموي الحسني ، (من علماء القرن السادس الهجري)

٣- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة ، ٢٠٠٢م).

- الإصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، (ت٣٤١هـ /٩٥٢م)

٤-مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٩٣٧م) .

- البكري ، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي ، (ت٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)

٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق: د.جمال طلبة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٨م) .

- البلاذري ، أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر ، (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

٦- فتوح البلدان ، وضع حواشيه: عبدالقادر محمد علي ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت،٢٠٠٠م) .

ISSN:2071-6028

- البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد ، (ت٤٤٠هـ /١٠٤٨م)

٧- تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، ط١ ، عالم الكتب ، (بيروت ، ٢٠٠٨م) .

- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي ، (ت٣٦٧هـ / ٩٧٧م)

٨-صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، (بيروت ، د.ت) .

- ابن خرداذبة ، عبدالله بن أحمد بن عبدالله ، (ت نحو٣٠٠هـ /٩١٢م)

٩-المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، (بغداد ، ١٩٦٣م) .

- ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ، (ت٨٠٨هـ /١٤٠٥م)

١٠- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٦م) .

- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن ، (ت٣٢١هـ /٩٣٣م)

١١- جمهرة اللغة ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٥م) .

- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، (ت ٦٦٦هـ /١٢٦٧م)

١٢- مختار الصحاح ، دار الرسالة ، (الكويت ، ١٩٨٢م) .

- السَّمعاني ، أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور ، (ت٥٦٢هـ /١١٦٦م)

١٣- الأنساب ، وضع حواشيه: محمد عبدالقادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٨م) .

- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم، (ت٥٨٤هـ /١١٥٣م)

١٤- الملل والنحل ، صححه وعلق عليه: الأستاذ أحمد فَهمي محمد ، ط ١، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،٢٠٠٧م) .

- شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبدالله محمد أبي طالب الأنصاري الدمشقي ، (ت٧٢٧هـ / ١٢٢٦م)

١٥- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ط٢ ، دار احياء التراث العربي ، (بلا ، ١٩٩٨م) .

- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت٣١٠هـ /٩٢٢م)

١٦- تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت ، د.ت) .

ISSN:2071-6028

- ابن عبدالحق البغدادي ، عبدالمؤمن بن عبدالخالق ، (ت٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)

١٧- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، (بيروت ، ١٩٥٤م) .

- أبو الفداء ، عمادالدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة ، (ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م)

١٨- تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينودو البارون ماك كيني ديسلان ، (باريس ، ١٨٥٠م) .

- الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي ، (ت٧٧٠هـ /١٣٦٨م)

١٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ، (بيروت ، د.ت) .

- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالله ، (ت٨٢١هـ /١٤٨١م)

٢٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه: محمد شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٨٧م) .

- المقدسي ، محمد بن أحمد ، (ت٣٨٠هـ / ٩٩٠م)

٢١- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي ، ط١، دار الكتب العلمية ،(بيروت، ٢٠٠٣م) .

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

٢٢- معجم البلدان ، ط٣ ، دار صادر ، (بيروت ، ٢٠٠٧م) .

- اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن وهب بن واضح ، (ت٢٩٢هـ /٩٠٤م)

٢٣- البلدان ، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي ، ط١، دار الكتب العلمية ،(بيروت ، ٢٠٠٢م) .

٢٤- تاريخ اليعقوبي ، علّق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٢م) .

ثانياً: المراجع

- الأعظمي، د. أبو أحمد محمد ضياء الرحمن

١- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند والبشارات في كتب الهندوس ، ط٤ ، مكتبة الرشيد ، (الرياض ،٢٠٠٨م) .

ISSN:2071-6028

- الأعظمي ، محمد حسين

٢- حقائق عن باكستان ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (القاهرة ، د.ت) .

- أبو حجر ، آمنة

٣- موسوعة المدن الإسلامية ، ط٢ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، (عمّان،٢٠١٠م).

- حقي، إحسان

٤- باكستان ماضيها وحاضرها ، دار الجماهير ، (بيروت ، ١٩٧٣م) .

- ديورانت ، ول

٥- قصة الحضارة ، ترجمة: د.زكي نجيب محمود ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (بلا ، ١٩٦٨م) .

- زلوم ، عبدالقديم

٦-الأموال في دولة الخلافة ، ط٣، دار الأمة ، (بيروت ،٢٠٠٤م).

- ضناوي ، د.سعدي

٧-المعجم المفصل في المُعرّب والدخيل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٤م) .

- عبدالباقي ، أحمد

٨-معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت،١٩٩١م) .

- ابن محمود ، أبو عبدالرحمن جمال بن محمد

٩-سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ما له وما عليه ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ،٢٠٠٤م) .

- مكتب التبيان للدراسات العربية وتحقيق التراث

١٠- الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة ، إشراف علمي: حسن عبدالحفيظ أبو الخير ، ط١، دار ابن الجوزي ، (القاهرة ،٢٠٠٩م) .

ثالثاً: الرسائل الجامعية

- الدليمي ، غازي فيصل صالح ذياب

١-قبيلة بجيلة وأثرها في التاريخ العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة الأنبار ، (١٤٣١هـ /٢٠١٠م) .

ISSN:2071-6028

رابعاً: البحوث

- عبدالرزاق ، د.عصام عبدالغفور

١- أثر الإسلام في نشوء دولة باكستان الحديثة ، بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية ، العدد الثالث – أيلول – ٢٠١١م .

خامساً: المقالات

- أحمد ، أنصار

١- مقال: ديباولي (عيد الأنوار) ، مجلة ثقافة الهند ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية نيودلهي ، المجلد٥٦ ، العدد ١ ، لسنة ٢٠٠٥م .

- قطب الدين ، محمد

٢-مقال: الزيجة الهندوسية عادات وتقاليد ، مجلة ثقافة الهند ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية نيودلهي ، المجلد٥٥ ، العدد ١ ، لسنة ٢٠٠٤م.

- هوروفتز

٣-مقال : دَيْبُل ، دائرة المعارف الإسلامية ، يصدرها باللغة العربية : أحمد الشنتاوي وآخرون ، راجعها: د.محمد مهدي علام ، (بلا ، د.ت) .

ISSN:2071-6028